

## الفصل الرابع

### صراعات واضطرابات مبكرة

#### ١- أكوبو توشيميتشى يقبض على مقاليد الحكم:

بعد إخفاق الجناح الذى يدعو إلى غزو كوريا بزعامة سايجو تاكامورى، وتركهم مناصبهم، بدأ على التو أكوبوتوشيميتشى الذى تزعم الجناح المناهض لغزو كوريا فى اليوم ذاته فى الإعداد لمجلس قيادى جديد، وبالفعل عين كلا من إيتوهيروبومى وكاتسوكايشو فى ٢٥ أكتوبر ١٨٧٣م (٦ من ميجى) وفى ٢٨ من الشهر نفسه عين تراجميا مونى نورى Terajima Munenori (١٨٣٢م - ١٨٩٢م). كذلك كان لمعارضة السياسى الكبير كيدو تاكايوشى لغزو اليابان لتايوان فى مايو ١٨٧٤م أثره الكبير فى ابتعاده عن حلبة السياسة لفترة مؤقتة. والمعروف عن كيدو أنه شكل أحد الأعمدة الثلاثة التى قامت عليها ثورة ميجى الإصلاحية وذلك مع كل من سايجو تاكامورى وأكوبوتوشيميتشى، وهكذا خلّت الساحة من كبار الساسة لصالح أكوبوتوشيميتشى. وعلى الرغم من أن سايجو ورفاقه أمروا بالكوث فى طوكيو فإنه عاد فى نهاية أكتوبر ١٨٧٣م إلى مسقط رأسه فى كاجوشيما وكان لهذه العودة لسايجو ورفاقه الأثر العميق فى مصيره وفى مسيرة السنوات الأولى من حقبة ميجى كما سنرى فيما بعد.

على أية حال، كان نشاط أكوبو بعد ذلك بارزا وسريعا وبالفعل بدأ فى بذل جهوده من أجل تعضيد النظام والإدارة الحكومية وعليه قام بإنشاء وزارة (نظارة) الداخلية لأول مرة فى اليابان وذلك فى نوفمبر من العام نفسه ونصب نفسه ناظرا عليها، ثم قبض على مقاليد الشرطة فى كل أنحاء البلاد، وعلاوة على ذلك قام بإنشاء مديرية أمن طوكيو فى يناير من عام ١٨٧٤م، وولى رئاستها لابن جلدته كاواجى توشيوشى Kawaji Toshiyoshi (١٨٣٤م - ١٨٧٩م) الذى كان يثق به تماما وكان كاواجى بالفعل عند حسن ظن أكوبو، فأبلى بلاء حسنا من أجل تأسيس نظام شرطى قوى فى اليابان. وقد عمل كاواجى على استتباب الأمن بالعاصمة. وفى الحقيقة إن وزارة الداخلية اليابانية بدأت قوية وفتية، فقد أصبح بيدها الحق فى مصادرة الصحف والمجلات وتوجيه المحليات وغير ذلك من

الأمر الداخلي. وقد كان عدد جنود الشرطة في البداية ثلاثة آلاف جندي من بينهم ألفان من ساتسوما فقط، ولكن بعد أن أصبحت ساتسوما معارضة للحكومة تم تجميع جنود آخرين من محاربي المنطقة الشمالية الشرقية. من خلال هذا النظام الشرطي القوي استطاع أوكوبو إقامة نظام متسلط واستطاع أيضا التخلص من كل معارضيهِ وأعدائه داخل الحكومة. ولكن هل نعم أوكوبو بفترة حكم مستقرة؟ في الحقيقة جاءت مجريات الأمور على عكس ما أراد أوكوبو تماما. وذلك بسبب الثورات والهوجات التي قام بها الفلاحون والمحاربون. وكذلك الاضطرابات التي أحدثتها معارضون من الحزب المؤيد لغزو كوريا، وعلى الأخص إيتوشينبي وسايجو تاكامورى ثم اندلاع حرب الصين (حرب الغرب والجنوب) بين جيش الحكومة وجيش تاكامورى في عام ١٨٧٧م. ثم كانت النهاية المفجعة باغتيال أوكوبو على يد مجموعة من الحانقين عليه بقيادة شيمادا إيتشيرو في مايو ١٨٧٨م، وذلك بعد نحو خمس سنوات من تنفيذه لسياسة الإدارة المطلقة والمستبدة.

في الحقيقة نستطيع أن نجد لأوكوبو العذر في فرض سياسته الداخلية المستبدة، وكذلك في معارضته لسياجو وصحبه في أمر غزو كوريا حيث إنه وجد أن الوضع الداخلي المتأزم لا يسمح بمثل تلك المغامرات الخارجية. وذلك لأنه بسبب فرض قانون التجنيد الإجباري وإجبار المواطنين وخاصة الفلاحين على تعليم أولادهم، والنفقات الباهظة التي كان يحتاجها التعليم وإنشاء المدارس فقد حدثت ثورات وهوجات في مختلف أنحاء البلاد خلال عام ١٨٧٣م (٦ من ميجي). وقد زاد عدد ثورات الفلاحين للضعف مقارنة بما حدث في عام ١٨٧٢م حيث وصل عددها إلى نحو ثلاثين هوجة وثورة. ففي محافظة أويتا استمرت الثورة الكبيرة التي بدأت منذ نهاية عام ١٨٧٢م ولم تهدأ حتى يناير من العام التالي. وفي مايو تواترت الثورات والهوجات فيها هي واحدة في شمال محافظة أوكاياما ثم أخرى في محافظة فوكوأوكا وثالثة حدثت في غرب اليابان. ومن بين تلك الثورات الثلاث تميزت هوجة فوكوأوكا بضخامتها ويقال إن عدد الفلاحين الذين شاركوا في هذه الثورة بلغ نحو ٣٠٠ ألف شخص واستمروا في ثورتهم لمدة ٩ أيام وباستثناء الأغنياء من الفلاحين فقد شارك المعدمون والبسطاء وكذلك وسطاء الفلاحين في هذه الثورة، وقاموا بمهاجمة كل شيء يمت للحكومة بصلة.

وزاد الطين بله عندما عاد سايجو إلى موطن رأسه حائقا على أوكوبو وحزبه بسبب منعه وصحبه من غزو كوريا. ولم يعد سايجو إلى ساتسوما وحده بل تبعه في ذلك عدد من مؤيديه

ومن أشهرهم كيرينو طوشي آكي Kirino Toshiaki (١٨٣٨م - ١٨٧٧م) الذى أصبح فيما بعد قائد جيش سايجو عندما حارب جيش الحكومة عام ١٨٧٧م واستشهد فى حرب السينان. ولفرط غضب هؤلاء المحاربين على النظام فقد قام تسعة محاربين من محافظة كوتشى بمحاولة لاغتيال السياسى الشهير إيواكورا طومومى فى يناير ١٨٧٤م، ولكن هذه المحاولة فشلت إلا أن إيواكورا أصيب بجراح. وحكم على المحاربين التسعة الذين قاموا بمحاولة الاغتيال بالإعدام وتم تنفيذ الحكم فى يوليو من العام نفسه. ونستطيع أن نستدل من قسوة الحكم مدى تطرف نظام أكوبو فى معاقبة الجناة. وربما كانت هذه القسوة ترجع لرغبة الحكومة فى كبح جماح المحاربين الناقمين عليها. إلا أن هذه القسوة فى التعامل مع أعداء النظام والناقمين عليه لم تؤد إلى تلاشى الاضطرابات والصراعات الداخلية بل زادت منها كما سنرى فيما بعد. وقد عدت حادثة محاولة اغتيال إيواكورا بمثابة علامة وإشارة إلى مدى ضراوة الثورات والهوجات التى حدثت فيما بعد.

## ٢ - المطالبة بإنشاء برلمان منتخب:

ومع وضوح استبداد نظام أوكوبو كان لابد أن يكون هناك رد فعل ومقاومة من معارضيه. وقد انطلقت شرارة الهجوم على أكوبو من إيتاجاكي تايسوكى، وهو أحد الخمسة الكبار الذين أيدوا غزو كوريا. وجاءت هذه المعارضة فى شكل عريضة قدمت للحكومة من أجل إنشاء برلمان ينتخب بواسطة المواطنين (Minsen Giin)، ووقع على هذه العريضة سبعة آخرون غير إيتاجاكي. وقد انتقد الموقعون على العريضة الاستبداد الحكومى وطالبوا بإنشاء برلمان منتخب من أجل ضمان حيز من الحريات والحقوق للمواطنين. بل والأكثر من ذلك أنهم قاموا بنشر هذه المطالب عبر صحيفة أنشأوها خصيصا من أجل ذلك. وبذلك أوجدت هذه المجموعة بزعامة إيتاجاكي حركة سياسية جديدة لم تكن معروفة من قبل. وقد وضح من خلال هذا النشاط السياسى مدى تأثير إيتاجاكي بالحضارة والفكر الغربيين، ومدى نشاطه من أجل تطبيق هذا الفكر المتقدم فى اليابان أيضا. والحقيقة أن إيتاجاكي كان قد قام قبل ذلك عام ١٨٧٠م (٣ من ميجى) بالتعاون مع زميل كفاحه جوطو شوجيرو Gotō Shōjirō (١٨٣٨م - ١٨٩٧م) بعمل إصلاحات سياسية فى مسقط رأسهما مقاطعة طوسا. ولكن الغريب هنا أن أفكار إيتاجاكي المثالية من أجل إصلاح السياسة الداخلية تعارضت مع أفكاره الإمبريالية التوسعية فى سعيه من أجل غزو كوريا، بمعنى أنه وقع فى تناقض واضح مع أفكاره الليبرالية.

آمن إيتاجاكي أيضا بمبدأ حتمية الحريات الإنسانية وأن تلك الحريات ما هي إلا منحة إلهية وحق طبيعي ليس للبشر يد فيها (Tempu Jinken) وهو في ذلك يردد بلا شك ما يقول به الفكر الديمقراطي الغربي ولكنه على الرغم من ذلك فحينما أراد أن يطبق هذا الفكر في اليابان فقد رأى أنه لا يمكن تطبيقه فجأة على كل طوائف الناس باليابان ولكنه رأى أن يعطى حق المشاركة السياسية في البداية للعسكريين والأغنياء من التجار والفلاحين فقط، فمن وجهة نظر إيتاجاكي فإن هذه النوعية من اليابانيين هي التي أسهمت كثيرا من أجل إنجاز وخروج ثورة ميجي الإصلاحية للنور، ولذلك فلا بد من الأخذ برأى هؤلاء الناس عند ترتيب السياسة اليابانية وذلك من أجل تعضيد أركان الحكومة.

ولكن على الرغم من تناقض إيتاجاكي مع نفسه في أمر إعطاء الحريات الإنسانية لجميع اليابانيين في الوقت نفسه، فإنه لا أحد يستطيع أن ينكر فضل هذا الرجل في بعثه لمنطق وجوب إعطاء الحريات والحقوق للمواطن الياباني العادي في مهد النهضة اليابانية الحديثة، كذلك فإن العريضة التي قدمها مع رفاقه السبعة قد ألفت بحجر في مياه الحريات الراكدة. وجعل المجتمع الياباني أو على الأقل جعل النخبة السياسية تتجادل وتتناقض في أمر إنشاء البرلمان وذلك بصوت مسموع ربما لأول مرة في تاريخ اليابان الحديث. وظهرت في ذلك الوقت المبكر من عصر ميجي وجهتا نظر فيما يتعلق بإنشاء برلمان منتخب.

الأولى وينادي بها كاتو هيرويوكي Katō Hiruyki (١٨٣٦م - ١٩١٦م) ومفادها أنه لا يجوز الإسراع في إنشاء مجلس نيابي منتخب وأن الوقت ما يزال مبكرا من أجل ذلك. ووجهة النظر الثانية ونادى بها أوي كنتاور Ooi Kentaro (١٨٤٣م - ١٩٢٢م) ومفادها أنه يجب إنشاء البرلمان المنتخب على وجه السرعة، وانتقد بشدة مقولة «إن الوقت مازال مبكرا لإنشاء البرلمان المنتخب» وقد أدى هذا الجدل وتلك المناقشات إلى تحفيز شباب المحاربين المفكرين من أمثال فوكوزاوا يوكيتشي وناكامورا كيئو Nakamura Keio للدعوة والمساعدة أيضا بهذا الأمر خاصة أنهما كانا مطلعين على الفكر الغربي. وكان نتيجة هذا النشاط أن قويت واشتدت حركة الحقوق الحريات المدنية التي تطالب بافتتاح البرلمان.

### ٣- ثورة ساجا:

عاد إيتوشينبي وهو كما ذكرنا آنفا أحد القادة الخمسة الذين كانوا يؤيدون غزو اليابان لكوريا إلى مسقط رأسه في ساجا (تقع في جزيرة كيوشو) في يناير ١٨٧٤م بعد أن يأس من

موقف الحكومة واستبدالها. وقبل أن يعود إيتو إلى ساجا حذر إيتاجاكي من أن عودته هذه ربما تسبب توترات كبيرة في ساجا وبالفعل صدق إيتاجاكي وحدث ما توقع. فقد كان في ساجا قبل عودة شينبي حزب متطرف يشتعل شوقا لغزو كوريا. وكان هناك أيضا حزب وطني يدعو لرفعة البلاد بقيادة شيمايوشي تاكي (١٨٢٢م - ١٨٧٤م) وما لبث إيتو بعد عودته من طوكيو أن وجد الحزبين تحت راية واحدة وأصبح قائدا لهذا الحزب. وأعد هذا الحزب مركزا للمطالبة الملحة لغزو كوريا وعن طريق هذا المركز تم تجميع الأسلحة والإعداد العسكري وبعد إعداد أكثر من ثلاثة آلاف جندي، قرر هذا الحزب المتطرف طرد الحزب المعادي لغزو كوريا من الحكومة وذلك باستخدام القوة، ثم إنفاذ الغزو الياباني لكوريا. وبالفعل في يوم ١٦ من شهر فبراير تحرك محاربو ساجا الثائرون على الحكومة فهاجموا البنوك واستولوا على الأموال الخاصة بالجيش ثم قاموا أيضا بالهجوم على قلعة ساجا التي كانت تقع بها المحافظة ذاتها.

كان إيتو بتمرده على الحكومة يتوقع أن تتمرد باقي فرق المحاربين الناقمين على الحكومة في كل أنحاء البلاد. وعلى الجانب الآخر فإن أوكوبو أيضا خشى أن يكون تمرد محاربي ساجا بداية لتمرد المحاربين الآخرين في مختلف البلاد ولذلك وجد أن يخدم هذا التمرد على الفور وإلا أقلت الزمام من بين يديه. وبالفعل أرسل أوكوبو جيش الحكومة إلى ساجا، وتوجه هو أيضا إلى مدينة فوكو أوكا القريبة من موقع الأحداث.

لم يكن لجيش ساجا المتمرد أن يصمد أمام قوة جيش الحكومة لا من ناحية العدد ولا التدريب ولا أيضا من ناحية نوعية التسليح المتقدم، فما لبث أن انهيار تماما في الحال وسرعان ما هرب إيتو من ساجا في يوم ٢٣ فبراير أي بعد ثمانية أيام فقط من بداية التمرد. ثم حاول اللجوء إلى أحد رجال إيتاجاكي في مدينة طوسا وهو هاياشي يوزو Hayashi Yūzō (١٨٢١م - ١٩٤٢م) ولكن الأخير رفض نجاته. وفي النهاية تم القبض عليه على الحدود ما بين محافظة كوتشي ومحافظة طوكوشيما وذلك في يوم ٢٩ مارس، كذلك تم القبض على الرجل الثاني في تمرد ساجا شيمايوشي تاكي في يوم ٧ مارس في محافظة كاجوشيما.

ولما كانت الحكومة تريد قمع أي تمرد وأن تجعل من قادة تمرد ساجا عبرة لمن يعتبر، فقد قامت بعقد محكمة عسكرية عاجلة في مدينة ساجا، وبعد أسبوع واحد من عقد هذه

المحكمة تم الحكم على القائدين وأحد عشر آخرين من الثوار بالإعدام شنقاً. وقد أدت ثورة ساجا وأدى ذلك الحكم القاسى على قوادها إلى إفشاء روح من عدم الرضا والاستياء فى كل أنحاء غرب اليابان تقريباً على ساسة الحكومة.

#### ٤ - الاضطرابات فى كل مكان:

لم تكذ حكومة مييجى تنتهى من توقيع معاهدة الصداقة مع كوريا فى فبراير من عام ١٨٧٦م حتى التفتت نحو المحاربين (Bushi) تنتزع منهم الامتياز تلو الآخر حتى أصبحت هذه السنة عاما لا يحتمل بالنسبة للساموراي. فلم يمر سوى شهر واحد على عقد المعاهدة مع كوريا حتى أصدرت الحكومة أمرا بعدم السماح للمحاربين بتقلد سيوفهم. وحيث إن السيف يعد بمثابة الروح للساموراي اليابانى، فقد وقع هذا الأمر الذى صدر فى ٢٨ مارس ١٨٧٦م كالصاعقة على المحاربين وجعلهم يحنقون أشد الحنق على الحكومة، ثم أصدرت الحكومة بعد ذلك وفى شهر أغسطس من العام نفسه أمرا بقطع المرتبات والعطايا الحكومية للساموراي. وصرفت لهم بشكل مؤقت مرتبات ضئيلة ولكن على شكل سندات حكومية. وهذا ما جعل حياة الساموراي وعائلاتهم فى أشد الضيق.

وكان رد المحاربين على هذه الإجراءات الحكومية سريعا؛ ففي شهر أكتوبر (١٨٧٦م) حدثت ثورة كبيرة فى مدينة كوماموتو قام بها حزب تبجيل الإمبراطور (KEISHINTŌ) الذى كان يقوده أوتاجورو طومو أو Otaguro Tomoo. وهذا القائد وأتباعه كانوا جميعا مقتنعين أشد الاقتناع بمبدأ تبجيل الإمبراطور وطرده الأجنبي، وإلى جانب ذلك كانوا حانقين على سياسة حكومة الإصلاح وما تقوم به من إصلاحات وتغييرات على مختلف الأصعدة؛ فقد قاد أوتاجورو ما يزيد على ١٩٠ محارباً نائراً وهاجموا كتائب الحكومة ومبنى محافظة كوماموتو، وقتلوا قائد الكتيبة الحكومية وكذلك محافظ المدينة. ولكن سرعان ما استطاعت كتائب الحكومة القضاء على هذه الثورة، ولكن بعد أن أدت إلى إثارة ثورات وهوجات فى أماكن أخرى كما سنرى. ولم تمر سوى ثلاثة أيام على اندلاع ثورة حزب تبجيل الإمبراطور (Keishintonoran) التى تحدثنا عنها نوا حتى اندلعت ثورة أخرى فى محافظة فوكوأوكا، وفى السابع والعشرين من الشهر نفسه قام مائتان من المحاربين فيما كان يطلق عليها مقاطعة اكييتسوكى وذلك تحت قيادة ميازاكى كورما نوسوكى بالانتفاضة. ثم حاول هؤلاء الثوار الاتحاد مع الثوار فى محافظة ياما جوتشى

وذلك تحت قيادة المحارب العنيد مايبارا إيسى Maebara Issei (١٨٣٠م - ١٨٧٦م) نحو محافظة ياما جوتشى، إلا أن هذه الخطة أحبطت بواسطة جنود كتائب الحكومة المتمركزة فى مدينة كوكورا Kokura الواقعة شمال شرق محافظة فوكو أوكا.

ثم نأتى بحديثنا عن ثورة هاجى (Hagi NoRan) التى حدثت أيضا فى شهر أكتوبر وبعد يوم واحد من هوجة أكيتسوكى (Akitsuki Noran) أى فى الثامن والعشرين منه. وقاد هذه الثورة مايبارا إيسى، وفى الحقيقة لم يكن مايبارا هذا مجرد محارب عادى ولكن كان له باع لا بأس به فى سياسة حكومة مييجى فى سنواتها المبكرة، فقد كانت بداياته فى مدينة شوكاصون التى تخرج منها العديد من القادة المشهورين باليابان. ثم انخرط فى حركة توقير الإمبراطور وطرد الأجانب (Sonnō Jōi) واشترك كذلك فى حرب البوشين ضمن جيش الحكومة أو جيش الإمبراطور وذلك ضد فلول قوات الباكفو، وفى العام الثانى من مييجى أى فى عام ١٨٦٩م أصبح عضواً فى الحكومة الجديدة (Sangi) وكذلك شغل منصب ناظر الحربية (Hyōbu Taifu). ولكنه سرعان ما استقال على أثر اصطدامه بفكرة المحافظ ضد كيدو تاكايوشى، وذلك فى سبتمبر ١٨٧٠م، وعاد إلى موطن رأسه فى مدينة هاجى بمحافظة ياما جوتشى وكون حزبا جمع به محاربى ياما جوتشى الحانقين على حكومة مييجى ثم انضم مايبارا للحزب المناصر لغزو كوريا ضد الحكومة. وقد حنق مايبارا على كل شىء بطوكيو واعتبر أن جوها فاسد بسبب ممارسات الساسة الذين تحالفوا مع التجار ولم تشغلهم سوى مصالحهم الشخصية فقط. كذلك حنق أيضا على سياسات حكومة مييجى مثل الإصلاح الضريبي وقانون التجنيد الإجبارى الذى أدى إلى فقدان المحاربين وظائفهم وغير ذلك. ولم تكتفِ الحكومة بذلك بل إنها بعد أن وضعت المحاربين فى موقف سيئ وأدت بهم إلى الفقر استعملت معهم القوة لإخضاعهم عندما أبدوا استياءهم من سياستها. وما ثورة ساجا وما فعلته الحكومة بالمشاركين فيها ببعيد عن ذهن مايبارا ورفاقه.

كانت بداية ثورة هاجى عندما تجمع الثوار حول مايبارا فى مدرسة المدينة فى يوم ٢٦ أكتوبر. وفى فناء المدرسة أشعلوا نيران ليلية رافعين لافتة كتب عليها بخط كبير عبارة «جيش شهداء الوطن» حتى يثيروا محاربى هاجى الغاضبين. ثم امتدت هذه الثورة إلى جميع أنحاء مدينة هاجى كما تنتشر النار فى الهشيم. ثم حاول الثوار التوجه إلى المدن المجاورة

إلا أن جيش الحكومة تمكن من منعهم من تحقيق هدفهم هذا. وكانت نهاية الثورة على يد قائد القوات الحكومية في محافظة هيروشيما الذى كان فى زيارة لكتائب الحكومة فى كوماموتو، وذلك فى يومى ٢، ٣ نوفمبر حيث دارت معركة حامية الوطيس بينهم وبين جيش الحكومة بقيادة ميئورا جورو (Miura Gorō) (١٨٤٧م - ١٩٢٦م). وفى يوم ٤ نوفمبر حضرت تعزيزات من قوات أوساكا إلى ياماجوتشى وبعدها على الفور جاءت بارجتان إلى سواحل ياماجوتشى وقصفت قوات الثورة، وبذلك استطاعت حكومة ميجى إخماد الثورة التى تعتبر أكبر الثورات التى قامت فى غرب البلاد حيث اشترك فيها ما يقرب من خمسمائة محارب. بعد إخماد ثورة هاجى حاول مايبارا الهروب إلى محافظة شيمانى Shimane، ولكن تم القبض عليه فى مدينة صغيرة تدعى ماتسوى Matsue، وتم وضعه فى سجن هذه المدينة ثم تم إرساله مرة أخرى إلى مدينة هاجى. وقد أصدرت عليه محكمة ياماجوتشى الحكم بالإعدام فى ٣ ديسمبر من العام نفسه.

تم إعدام مايبرا بعد أن ساهم بدلوه فى إنهاء الباكفو كما ساهم غيره من المحاربين، وبعد أن ساهم أيضا بجهوده من أجل الحكومة الجديدة، وبقيت كلمته الشهيرة «يفأخر ما يزيد على ٤٠٠ ألف محارب فى كل أنحاء اليابان بإنجازهم فى إعادة سلطان الإمبراطور. وكجزء لهم على ذلك عوقبوا بالموت جوعا وكأن لسان حاله يردد المثل الشعبى المصرى «آخر خدمة الغز علقه»، وربما كانت هذه الحالة الشعورية من الندم هى أيضا لسان حال الكثير من المحاربين. هكذا أخدمت الحكومة الثورات فى كل الأماكن التى قامت بها باستخدام جيش الحكومة الحديث، ولكن بقيت الثورة الكبرى والحرب الضروس التى ستتشب بين حكومة ميجى والزعيم سايجو تاكامورى.

#### ٥- مملكة سايجو وحرب السينان:

عاد سايجو تاكامورى إلى جاكوشىما فى نهاية ١٨٧٣م وذلك بعد هزيمته فى معركته ضد الحكومة من أجل غزو كوريا. وعلى أية حال فلم يعد خالى الوفاض فقد أعطته الحكومة المركزية فى طوكيو ألفى جوكو من الأرز (نحو ٣٦٠ طنًا) وبقيمة هذه الكمية الكبيرة من الأرز افتتح سايجو فى موطن رأسه مدرسة خاصة ولكن غلبت عليها الصفة العسكرية. ولكنه سلم زمام هذه المدرسة وإدارتها لآخرين وتفرغ هو للعمل بالزراعة تارة وممارسة الصيد تارة أخرى. ولكن برغم ذلك كان لشخصية سايجو القوية وتاريخه الحافل بالكفاح

تأثير واضح على محافظة كاجوشيما فأوعز لها بمعارضة حكومة مييجي في كل الخطوات الإصلاحية والأوامر التي كانت تصدرها بشكل متكرر في أوائل عهدها نظراً لكم القوانين والعادات التي رأت حكومة مييجي إلغائها والإتيان بالجديد حتى تلحق بركب التحديث، فمثلاً لم تحاول محافظة كاجوشيما تطبيق الإصلاح الضريبي على الأراضي الذي بدأ تطبيقه منذ عام ١٨٧٣م، ولم تحاول أيضاً استخدام التقويم الشمسي الجديد الذي بدأ استخدامه أيضاً منذ عام ١٨٧٣م أيضاً. وكذلك كانت محافظة كاجوشيما هي المحافظة الوحيدة التي لم تنفذ أمر الحكومة المركزية بقطع المرتبات عن المحاربين وأتباعهم، وخالفت أيضاً أمر التخلي عن عادة تقلد السيوف (Haitorei). وبذلك أصبحت كاجوشيما وكأنها مملكة خاصة بسايجو وأتباعه من المحاربين. وأصبح بالتالي سايجو ومملكته وكأنها حلم ونبراس لكل المحاربين الحانقين على حكومة مييجي في كل أنحاء اليابان.

ولسخرية القدر كان ناظر الداخلية آنذاك هو صديق سايجو القديم أوكوبو طوشيميتشي، ولكنه لم يلق بالأل لهذاه العلاقة القديمة وحاول قدر استطاعته من أجل الحفاظ على الأمن العام التخطيط لإصلاح سياسة محافظة كاجوشيما وفرض الهيمنة المركزية عليها ولكنه فشل في ذلك. ولذلك ارتفعت الأصوات المهاجمة لموقف الحكومة الضعيف حيال كاجوشيما لتمتعها بهذا الموقف الفريد من المعاملة الخاصة بين كل المحافظات الأخرى. ولذلك كان على حكومة مييجي أن تأخذ موقفاً حازماً إن آجلاً أو عاجلاً مما يحدث في محافظة كاجوشيما، فقد أصبح موقف سايجو القوى في كاجوشيما وكأنه حصوة في عين الحكومة المركزية يجب عليها اقتلاعها وإلا ظلت تؤرق مضجعها.

وعليه أرسلت الحكومة في نهاية يناير وبداية فبراير ١٨٧٧م بعض رجال البوليس إلى كاجوشيما لاستطلاع الأمور هناك. وكذلك أخذت وزارة الجيش البرى المبادأة تحسباً لأي إجراء عسكري يقوم به سايجو فقامت بنقل جزء من الأسلحة والذخيرة المخزونة في كاجوشيما إلى أوساكا. ولكن تلك الإجراءات أغضبت طلبة المدرسة العسكرية التابعة لسايجو خصوصاً بعد أن تم القبض على بعض رجال البوليس المبعوثين من الحكومة واعتبرهم رجال كاجوشيما جواسيس بل قتلة جاءوا لمحاولة اغتيال سايجو.

ورداً على هذا الاستفزاز الحكومي فقد تجمع عدد كبير من طلبة المدرسة العسكرية وهاجموا هيئة الذخائر العسكرية التابعة للحكومة وكذلك الترسانة البحرية واستولوا على الأسلحة والذخيرة التي كانت مازالت في عملية التحميل.

وفى الحقيقة إن سايجو لم يكن يتصور أنه يمكن أن يقع فى صدام عسكرى ضد الحكومة ولا كان يريد أيضاً هذا الصدام. والدليل على ذلك أنه لم يستجب لدعوة كل من إيتو شينبى ومايبارا إيسى (Issei) للخروج عن طاعة الحكومة المركزية عندما قاما بثورتهم فى كل من ساجا وهاجى. وكل ما كان يتمناه هذا البطل القومي هو أن يبقى فى مكان هادئ أمين له ولأتباعه فى الجنوب الغربى من اليابان. ولكن الأحداث جرت عكس ما كان يتمنى، فقد وصلت حدة الغضب بطلبة المدرسة الخاصة بكاجوشيما وبالمحاربين الآخرين إلى نقطة الاشتعال ولم يعد فى مقدرة سايجو أن يوقف من حدثها.

وفى الخامس عشر من فبراير ١٨٧٧م بدأت جموع الغاضبين من طلبة المدرسة العسكرية الخاصة وغيرهم من المحاربين تتدفق نحو كاجوشيما تحت قيادة شينوهارا - كوني موطو Shinohara kunimoto (١٨٣٦م - ١٨٧٧م) وغيره من قواد المدرسة. ثم توجهت هذه الجموع الحاشدة التى بلغ عددها نحو اثنى عشر ألفاً إلى كوماموطو. وفى الطريق انضمت لهم أعداد أخرى غفيرة من المحاربين من كل أنحاء جزيرة كيوشو ليبلغ العدد فى النهاية نحو ثلاثين ألف محارب. وبذلك بدأت حرب السينان أى حرب الجنوب الغربى (Seinan Sensō) التى تعتبر أكبر ثورة للمحاربين ضد حكومة مييجى.

فى البداية هاجم جيش الثوار قلعة كوماموطو التى كانت تتحصن بها كتائب الحكومة. ولم يتعد عدد جنود هذه الكتائب المائتين، ولذلك تصور الجيش المهاجم أن سقوط القلعة سوف يكون سهلاً، ولكن هذا لم يحدث. وتعذر على جيش سايجو إسقاط القلعة لمدة طويلة. والظريف أنه فى أثناء توقف القتال والسجال بين جنود الحكومة المتحصنين داخل القلعة وقوات سايجو فإن كلا الطرفين كان يغنى أغانى عديدة من أجل الترويح عن أنفسهم. فأصبح ميدان القتال وكأنه كورس كبير. وفى الوقت نفسه تقريباً كانت هناك معركة حامية الوطيس تدور بين جيش الحكومة - الذى حضر من العاصمة وغيرها من المدن إلى كيوشو - وجيش سايجو شمال مدينة كوماموطو بقليل فى منطقة طاباروزاكا Tabaruzaka. وفى هذه المعركة أبلى جيش الحكومة الإلزامى بلاءً حسناً وأظهر تفوقاً واضحاً على جيش سايجو الذى يتكون من المحاربين التقليديين (Shizoku).

ولكن يلح السؤال هنا على القارئ: لماذا لم يستطع جيش ساتسوما بعدده وعدته الهائلة إسقاط قلعة كوماموطو على الرغم من استطاعة ثوار حركة تبجيل الإمبراطور

(No Ran Keishinto) اغتيال قائد كتائب كوماموتو بسهولة؟ وفي الحقيقة إن جيش سايجو وقع هنا في خطأ لأن ذلك يمكن أن تسقط قلعة كوماموتو بسهولة ويسر. ولكن ما حدث قبل ذلك كان درساً قاسياً لقوات الحكومة. فقد قام قائد كتائب كوما موتو تانيكاجو ومن معه بتحسين القلعة جيداً وكذلك قام بتخزين كميات كبيرة من الذخيرة والطعام تحسباً لمعركة طويلة وحتى يأتي المدد من جيش الحكومة. ولذلك استطاعت حامية قلعة كوماموتو مقاومة جيش ساتسوما حتى وصل جيش الحكومة إلى المدينة، ولكن نظراً للحشود العظيمة لجيش سايجو (جيش ساتسوما) حول القلعة فلم يكن وصول جيش الحكومة إلى القلعة سهلاً على الإطلاق. ولكن وبسبب التسليح الجيد والتدريب الممتاز لجنود الحكومة فقد كان موقف جيش الحكومة هو الأفضل بشكل واضح. وكانت هناك نقطة أخرى لصالح جيش الحكومة وهي إمكانية إعطائه المدد بشكل مستمر في حين أن هذا الأمر كان مستحيلًا على جيش ساتسوما. ففي يوم ٨ مارس توجهت إلى سواحل كاجوشيما ثمانى بوارج حربية حكومية.

ورغم ذلك ظل الحصار مضرًا على قلعة كوماموتو إلى أن عين الجنرال كرودا كيوتاكا Kuroda Kyōtaka (١٨٤٠م - ١٩٠٠م) مستشاراً ومخططاً لجيش الحكومة. ومن ثم اتخذ وسيلة أخرى للهجوم على جيش سايجو، فقد نزل بقواته على ساحل ياشيرو، ثم تقدم نحو قلعة كوماموتو من الخلف واستطاع أخيراً في الأول من إبريل الوصول إلى القلعة. وبعد خمسين يوماً تم فك الحصار عن القلعة، وعند هذه النقطة تم حسم المعركة تقريباً لصالح جيش الحكومة. وعلى الرغم من ذلك كافح جيش ساتسوما بشجاعة منقطعة النظير بعد انتقال المعارك في المناطق الأخرى التي حارب بها مثل هيتويوشي ومياكونوجو وميازاكي، ثم انسحب إلى منطقة شيروياما في شهر سبتمبر ١٨٧٧م. وفي ذلك الوقت لم يبق من جنود ساتسوما سوى ثلاثمائة فرد فقط. وفي يوم ٢٤ سبتمبر جاء الهجوم الكاسح من جيش الحكومة حيث انتهت تماماً ثورة ساتسوما وقتل أو بالأحرى انتحر في هذه المعركة سايجو تاكامورى وعديد من رفاقه.

وفي الحقيقة لم تكن خسائر جيش الحكومة البشرية بسيطة. فقد كان هذا الجيش يزيد على ٦٠ ألف محارب فقد منهم ٦٢٠٠ جندي، وهذا عدد بلاشك كبير. ربما كان أكبر بكثير مما توقع قائد الجيش البري ياما جاتا أريتومو الذي توقع أن تعم ثورات المحاربين (السامواري) الناقمين على الحكومة كل أنحاء اليابان، ولكن هذا لم يحدث في الواقع، وأصبحت حرب السنين هي أكبر وآخر تمرد للسامواري على الحكومة.

وهكذا انتهت أكبر وأعنف وكذلك أطول ثورة لطبقة المحاربين القدماء قبل أن يبرز الجيش الإلزامي، وسقطت ثورة المحاربين إلى ما لا رجعة أمام جيش الحكومة الذي كان مسلحاً تسليحاً جيداً ومدرباً تدريباً فائقاً. وتؤكد بالتالي عدم فاعلية أى تمرد ضد الحكومة التي امتلكت بجانب الجيش أيضاً شرطة قوية، وبذلك أيضاً تأكدت وقويت سلطات الحكومة أكثر وأكثر، وكانت تلك من أهم نتائج حرب الصينان.

ولكن على الجانب الآخر اندلع شعور من الأسى والحزن وانسكبت دموع راقئة على النهاية المأسوية التي انتهت إليها سايجو تاكامورى. ولم تكن هذه الدموع ولا ذلك الأسى من فراغ. فأولاً كان سايجو يعد أحد الأعمدة الثلاث التي قامت عليها الثورة الإصلاحية ليجى (Ishin No Sanketsu) وذلك مع كل من رفيقى صباه أوكوبو طوشيميتشى وكيدو تاكايوشى. ولسخرية القدر فإن هؤلاء الثلاثة الذين قام على أكتافهم إصلاح ميجى تركوا هذه الدنيا فى وقت متقارب، فقد توفى كيدو تاكايوشى مريضاً فى مايو ١٨٧٧م أى أنه لم يشهد نهاية حرب الصينان. أما الضلع الثالث وهو أوكوبو فقد تم اغتياله على يد ضابط سابق فى الجيش البرى يدعى شيمادا إيتشيرو Shimada Ichiro وذلك فى منطقة كوجى ماتشى بطوكيو فى ١٤ مايو ١٨٧٨م، وكان عمره آنذاك تسعاً وأربعين عاماً فقط. وكذلك كيدو ترك هذه الدنيا ولم يتعد الرابعة والأربعين من عمره.

أما أطولهم عمراً فكان سايجو تاكامورى، فقد كان عمره واحداً وخمسين عاماً عندما استشهد فى شيروياما فى نهاية حرب الصينان كما ذكرنا. وهكذا وفى خلال عام واحد رحل أعمدة إصلاح ميجى تباعاً. ولكن فى الحقيقة كان أسى وحزن اليابانيين الأكبر على سايجو. والسبب الثانى للحزن الكبير على سايجو أنه تمتع بشخصية فريدة. تمتاز بقدر كبير من الحب والاحترام نحو أتباعه ومرءوسيه، واستطاع سايجو أن يحتوى بشخصيته الجيد والردىء من الناس على السواء، وهذه النوعية من الشخصيات تكون محببة جداً لدى اليابانى العادى. والغريب أن شعبية سايجو مازالت جارفة بين عامة اليابانيين حتى الآن. ولكن مثل هذه الشخصية الصريحة الجريئة لم تكن فى الحقيقة مناسبة لتطوير خطة البناء الدقيقة للنظام الداخلى اليابانى إبان بزوغ حقبة ميجى. ولذلك فقد انتهى دور سايجو الإيجابى فى عام ١٨٧١م عندما تمت خطة إلغاء المقاطعات وإنشاء المحافظات التي كان دور سايجو فيها بارزاً.

ولفرط حب اليابانيين لسايجو فإنه عندما أشيع نبأ استشهاده فى شيروياما فإن الكثير منهم لم يصدق هذا الخبر واعتقدوا أنه فقط استطاع الهرب من هناك إلى روسيا. ونتيجة لهذا الاعتقاد فإنه فى عام ١٨٩١م - أى بعد ١٤ عاماً من موته - وحينما زار ولى عهد روسيا اليابان، فقد شاع بين الناس أن سايجو سيكون فى صحبة الأمير الروسى، وبالفعل تم الإعداد لحفل الترحيب بسايجو عند عودته لبلاده. ولشدة شوق المحبين لسايجو إلى رؤيته فقد تجمع الكثير من سكان مدينة كاجوشيما ومن خارج المدينة أيضاً حتى يكونوا فى استقبال بطلهم الشعبى. وفى عام ١٨٩٨م تم إزاحة الستار عن تمثال بورنزي لسايجو فى حديقة أويانو بطوكيو، قام بصنعه المثل اليابانى الشهير تاكامورا كوأون Takamura Koun (١٨٥٢م - ١٩٣٤م). مازال اليابانيون حتى يومنا هذا يذهبون إليه خصيصاً لإعجابهم بهذا البطل.

## ٦- ثورات الفلاحين فى بدايات عصر مييجى:

استعرضنا فيما سبق ثورات وهوجاتٍ مثل ثورات ساجا، وحزب تبجيل الإمبراطور، هاجى وفى النهاية الثورة الكبرى لساموراي ساتسوما. وكل هذه الثورات قامت بواسطة المحاربين الناقمين على حكومة مييجى وسياساتها. وفى الحقيقة إن حكومة مييجى واجهت من أجل تحقيق هدفها فى إنشاء دولة حديثة مقاومة شديدة من هؤلاء المحاربين، ولكن ماذا كان موقف المزارعين من الحكومة؟.

الحقيقة إن الفلاحين ذاقوا المرار وعانوا كثيراً فى أثناء حكم الطوكوجاوا، ولما قامت ثورة إصلاح مييجى فإنهم توقعوا أنها سوف تخلصهم من هذا الجحيم. وأنها سوف تقوم بتخفيض الضرائب عليهم إلا أن آمالهم ذهبت أدراج الرياح. ولم يفعل الإصلاح الضريبى الذى أقرته حكومة الإصلاح شيئاً للفلاح البسيط وكان فى معظمه موجهاً لخدمة ملاك الأراضى. وبسبب اعتناء إصلاح مييجى بالكبار فقط دون صغار الفلاحين، ولما لم تتحسن أحوال حياتهم على الإطلاق فقد خاب أمل هؤلاء الفقراء فى الثورة الوليدة وتحولوا بشعورهم عنها بل قاموا بهوجات عنيفة ضدها. ولقد بلغ عدد هذه الحوادث والهوجات فى السنوات العشر الأولى من عصر مييجى ما يزيد على خمسمائة فى كل أنحاء البلاد. وكانت الأسباب الرئيسية فى اندلاع هذه الهوجات هو مطالبتهم بتخفيض الضرائب العينية (Nengu) واعتراضهم على الإصلاح الضريبى وكذلك على نظام التجنيد الإجبارى.

بل إنهم كانوا يعترضون أيضاً على سياسة الحكومة واتجاهها نحو تحرير الطبقات المنبوذة والمهانة مثل الأتا والهينين (Eta - Hinin). وكان اعتراضهم أيضاً على تلقي التعليم شيئاً مؤسفاً أو لنقل إنه التفكير الرجعى الذى يقف فى مواجهة تيار التحديث، فكانوا يهاجمون المدارس وبيوت المدرسين ويخربونها اعتقاداً منهم أن تلك النظم التعليمية أضافت إلى أعبائهم الثقيلة أعباءً جديدة هم فى غير حاجة بها. وما من شك أن تلك الاعتراضات كانت بمثابة عوائق فى سبيل الانطلاق نحو دولة حديثة متطورة. ولكن لابد من إدراك أن الضغوط على المزارعين الصغار كانت أثقل من أن يتحملوها خاصة أن حكومة ميجى كانت تعتمد فى معظم دخلها الثابت والطويل المدى على ما يأتيتها من دخل الضرائب على الأراضى الزراعية.

وقد تميز عام ١٨٧٦م من بين سنوات الإصلاح الأولى بالثورات الكبرى التى حدثت فى محافظات ميبى Mie وجيفو Gifu وأيتشى Aichi وساكاى Sakai. ولذلك حاولت الحكومة تهدئة الأحوال فأقدمت على خفض قيمة الضرائب من ٣٪ إلى ٢.٥٪ من قيمة الأرض. وبالطبع عد ذلك بمثابة نصر كبير للفلاحين.

وهكذا وبعد استعراضنا للعديد من الاضطرابات والهوجات بسبب عدم رضاء واستياء مختلف الطبقات والنوعيات من اليابانيين نحو الحكومة الجديدة فى أوائل عصر ميجى بسبب التجنيد الإجبارى والإصلاح الضريبى وحركة التصنيع الجديدة وحتى ضد التعليم الإجبارى، نجد أن السنوات الأولى من عهد ميجى لم تكن سهلة على الإطلاق لا على الحكومة ولا على المواطنين. ولكن كان على اليابان أن تتقدم سياسياً واقتصادياً وبرلمانياً وتعليمياً وهذا ما حدث بالفعل، وأصبح عصر ميجى هو الانطلاقة الكبرى نحو يابان حديثة على الرغم من كل المساوئ التى حدثت فيه وكل الآلام التى تحملها اليابانيون.

□□□